المبحث الثامن:

الكشف المبكر للمبدعين

إن الكشف المبكر عن نوابغ المجتمع ومبدعيه ضرورة ومهمة وطنية هامة في حياة الأمة، ورغم كونها مسألة معقدة، إلا أن عوامل تحقيقها وخصائص من سيقوم بكشفها وحتى بإعدادها ورعايتها متوافرة ومتاحة، مما يجعلها عملية جاذبة وممتعة، وبالتالي تغدو سهلة، إذا ما تم إعداد وتنظيم تلك القدرات والمكونات المتاحة وتوظيفها، خاصة حين ينبري لهذه المهمة التربوية الخلاقة فرسانها الحقيقيون بقيادة الأم، مما يجعلها أكثر سهولة، لكننا نتساءل هنا من هؤلاء الفرسان؟ وللإجابة عن ذلك نشير إليهم بعجالة من خلال البنود الآتية:

البند الأول: فرسان كشف المبدعين.

الأم.

نعم إنني أرى بالأم الفارس الأول الذي يكشف رواد الوطن، وهي التي تمثل "الحاضن الاجتماعي العارف بجوهر وبدقائق السمات الأهم للمُكتشفْ" (لأنها الأولى التي تعمل وتشهد وتواكب عملية النمو والتكوين، وهي التي تعرف عن كثب الفصول الأربعة لوليدها أو وليدتها وتفصيلات هذه "الفصول بالشهر واليوم والساعة " التي يحياها إنسانها هذا بين يديها، وهي التي تعمل على تنميته معنوياً وعاطفياً وحتى مادياً، وهي التي تحسب وتقيس هذا النمو بيديها وأمام عينيها، وهي التي ترعاه علمياً ونفسياً وفكرياً، وحتى جسدياً لأنها هي التي تحيا هذا الكائن، في مختلف مراحل تفتح قدراته وتطلعاته، وهي التي ترقب أساسياته واستثناءاته المبتكرة والملفتة وهي التي تحسه وتحس نبضه الذي تؤثر به و يؤثر بها و في تكوينها الفكري والنفسي، لهذا فهي التي تسهم في تخطيط ما يرجى له في حاضره ومستقبله شئنا أم ابينا، وما يخرج عن هذه القاعدة يشكل استثناء.

obeikandl.com

إنها علاقة جدلية بين الولاّدة والمولود، بين الأصل وفرعه، بين النمو وتطوره، وبين ذاك الذي ينمو، وذاك الذي يعيش هذا النمو والتطور عن قرب وعن كثب، ولكن هذه المرة نرى بأن هذه العلاقة الجدلية، تحكمها عوامل الطوعية والرغبة والإرادة غير المشوبة بالشوائب التي تعتري الكثير من العلاقات الإنسانية الأخرى، حيث هنا يحفزها و يطوقها وينميها الحب والمسؤولية من حيث المبدأ.

لذلك فإننا حينما نرشح الأم لهذا الدور البناء، فإننا لا نأتي بجديد لاعتقادنا بأنها هي الأقدر والأذكى، وهي الأعرف بالطفل الذي تعيشه ويعيشها، وهي التي تواكبه لحظة بلحظة، وهو الذي ينمو ويكبر ويتصرف ويفرح ويتألم ويقبل ويرفض ويهوى ويكره، وهو الذي يقول ويفعل دون رقيب و حسيب، بين يديها.

وحين نقول الأم لا نعني أمومتها وحنانها فحسب، بل إننا نركز على ثقافتها وعلى صقل مواهبها وتنمية مداركها ورعايتها علمياً واجتماعياً ونفسياً وأخلاقياً، ولا شك بأن تفعيل ذلك كله يأتي في سبيل البناء الذاتي للإنسان، هذا البناء الذي يمكن أن يتكامل بعد أن نوفر لأمه البيئة التي تستحقها، لكي تستطيع أداء دورها الخلاق المنوط بها في الكشف المبكر عن مبدعي الأمة.

الأب.

إن الأب يشكل في هذه المسألة التربوية النصف الثاني للعقل والذراع اللذان يعملان ويتفاعلان و يرفعان سقف الخيمة التي تستظل تحتها الأسرة كلبنة أولى في المجتمع، حيث ينحدر منها المبدعون، وبما أن الأسرة هي النواة الأساس في المجتمع، فهي تحوز نفس السوية في بنية بناء بيئة الإبداع المجتمعية، لذلك يلقى على عاتق الآب مهام جسام مكملة وأساسية في هذا المجال، مما يسهم في توسيع آفاق "بيئة الإبداع" وينقي مع الأم مناخها ويعزز إمكاناتها ويؤمن مستلزماتها، كما يسهم إدراك تفصيلات النمو الإبداعي للمبدعين إن وجدوا ومعرفة توجهاتهم.

المعلم.

وهو الذي يتبوأ قيادة منبر الكشف الإبداعي ويتم من خلاله ولديه الفرز الأولي للمبدعين حسب الابتكارات والومضات التي يأتيها المبدعون، والتي تشير من قريب و بعيد إلى السمات الأبرز في كل فرد، والتي تدل على الابتكار القادم و المبتكر والمفيد.

المبدع وفعالياته:

حين التحدث عن فعاليات المبدع، فلا بد لمن يرغب ذلك أن يشعر بحرج كبير وخطير بآن معاً، ويكمن الحرج في عدم القدرة على إعطاء المبدع حقه في التقويم والتوصيف، عند ولوج هذا الصرح الذي فيه المفاجئات و فيه الآمل وعوامل التجديد والتغيير والتطوير ما تنوء به قدرات المتحدث، لذلك مهما استزدنا من معين معارف المبدع فسوف يبقى النقص ماثلا أمام ذهننا في عدم إعطاء عطاءاته حقها.

أما الخطورة فتكمن في التقويم والتوصيف نفسه فيما لو خرج هذا التوصيف والتقويم، مجانباً لحقيقة جوهر هذه الفعاليات، مما يسبب إيذاء محققا وإن كان غير مقصود ، وبهذا تكمن الخطورة التي تستهدف أكثر من هدف { الأول هو المبدع والثاني هو الإبداع والثالث هو المجتمع والرابع هي مسؤولية المقيم أو الموصف نفسه} لذلك أرى أن يتحدث المبدع وإبداعاته عن نفسه وعنها.

لذا فإننا حين نقول فعاليات المبدع، فهنا يجب أن تكمن الحقيقة حيث يفرض المبدع وإبداعه نفسه على الواقع من خلال كشف علمي – لوحة فنية – براعة رياضية خارقة، أو من خلال خلق حلول لمعالجة آثار تخلفه جائحة ينبري المبدعون لمعالجتها، ويمكن أن يكون الكشف الإبداعي في مشفى و مخبر - فيزيائي - كيميائي - هند سي – أو من خلال كشف علمي طبي فكري فلكي.... الخ.

البند الثاني: الخريطة الإبداعية

إن هذه الخريطة غاية في الأهمية، لأنها تحمل الشيفرة والهوية الدالة على شخصية حاملها، ونعني بالخريطة الإبداعية النموذج الذي يتم رسمه وتبويبه ونمذجته

وفق طاقات وهوايات الشخص المقصود والذي يبين من خلاله، النجاحات والهنات التي يعيشها.

إن هذه الخريطة يجب أن تُعد، لتستغرق بمضمونها وشمولها كل ما يدل ويشير إلى حاملها وتحوله الإيجابي والسلبي والإبداعي والابتكاري والانحداري) وكل ماله بالفعاليات اللمًاحة، وحتى العبثية له وفي كل مرحلة عمرية يمر بها هذا الكائن العاقل، وهذه الخريطة الإنمائية الإبداعية، ما هي إلا عبارة عن بطاقة ذاتية تتناول إنساننا منذ الولادة و ترصده بدقة وترصد مؤشرات مواهبه منذ الولادة أو منذ أن تبدا مواهبه في فرض نفسها شيئا فشيئا ولغاية بلورتها، والذي يعي و يدرك بدء هذه المؤشرات على مختلف نماذجها، هي (الأم).

إذن المهم أن يُسجل هذا التفتح الذهني الذكي لبروز هذه المواهب منذ أن يبدأ ظهورها وأن يواكب تطورها وتغيرها وملاحظة خصائصها من خلال بطاقة ذاتية تحمل على صفحتها البنود التي تعنينا، على أن ترافق هذه البطاقة الذاتية {بطاقة الخريطة الإبداعية} صاحبها أو صاحبتها وأن تسير معهما خطوة خطوة، منذ الولادة وحتى النهاية، هذه البطاقة التي تعكس حقيقة المبدعين وقدراتهم واختصاصاتهم التي تشكل مطرحاً لأي قراءة دقيقة للكائن الحي العاقل لتحديد طبيعة الإبداع الذي يستطيعه كل مبدع.

البند الثالث: سمات الأم الراعية للمبدع.

ولتحقيق هذه النقلة النوعية الاجتماعية والعلمية والتربوية تستلزم بالضرورة القصوى وضع "المرأة الأم" في حال الكفاية والاكتفاء المتكامل، بحيث يتم وضعها في بيئة تلائم دورها البنّاء والتربوي الذي يليق بها كحالة اجتماعية وكمؤسسة قائمة بذاتها لتربية للإنسان، وذلك بحيث تكون تلك البيئة بيئة غنية بمضامينها الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، لتستطيع أن تجسد من خلالها كأم وطنية كل ما يبعث فيها المقومات التي تحيلها بكل جدية وموضوعية "إلى

obeikandi.com

المؤسسة الأم الوطنية " أو الأم المؤسسة" التي تحتضن وتربي وتبني والتي تتسم بالسمات الآتية:

❖القدرة على سماع أفكار ابنائها مهما كانت سويتها ومحاولة اعتمادها و تصويبها أو النهي عنها بأسلوب يتحالف فيه الجد بالعاطفة ويدعم بالأمثلة.

❖القدرة على فهم حركات أبنائها البدنية والحركات المتصلة بالآخر سواء كان قريبا منهم أو بعيدا عنهم.

❖القدرة على فهم هوايات أطفالها الجسدية الفكرية والفنية والعلمية ومعرفة حالتهم النفسية في مختلف الظروف.

❖القدرة على تجاوز الذات توخيا لفائدة تربوية، مثل أن تسأل أو تستعلم عن قضايا أو حالات تراها في أطفالها وتجهلها ولم تستطع تفسير تلك القضايا أو الحالات.

❖أن تتسم بالحزم والإقدام عند اتخاذ القرار دون أن تؤثر عاطفة الأمومة على ذلك.

❖أن تحقق الموائمة التربوية للوصول إلى وحدة التوجيه بين الأب والأم وذلك بالإتفاق بينهما، وكذلك بينها وبين من له دور في التوجيه والإقرار.

❖الاهتمام بالوقت وبالواجبات التي يجب أن تؤدى في أماكنها وأوقاتها وإشعار الأبناء باهتمامها هذا.

أشير هنا إلى أن ما تقدم يمثل بعض السمات، وما ورد ليس "جامعا أو مانعا"، فالأم ولادة والأحكام والسمات تتغير دائما بتغير الأزمان.

البند الرابع: المنهج والبرنامج.

صحيح بأن توصيف وتعداد السمات أو الخصائص، لأي مسألة قد يكون سهلاً على الكتاب والمنظرين، وصحيح أيضاً أن ينظر إليها القراء على أنها لا تعدو سوى

obeikandl.com

أن تكون مجرد طروحات لمجرد الطرح، طالما أن هذه الخصائص لم يتم وضعها حيز التطبيق ولم يعرف السبيل الذي يمكن أن يؤدي إليها.

لهذا فإني سوف أحاول أن اقترح بعض الاقتراحات وأن أضيء بعض الإضاءات حول ما تقدم، علني أسهم في زيادة ساح منورة أو إزالة ظلمة درب يمكن سلوكها، لأنني أؤمن مسبقا بأن ذلك كله لا يمكن أن يأتي نتائجه حسب وجهة نظري إلا من خلال منهج يتسم بالسمات التالية:

أولاً - وضع المنهج والبرنامج التنفيذي، الذي يجسد الوحدة الفكرية والتوجيهية، والتربوية الوطنية والأخلاقية للكافة وللأم بصورة خاصة.

ثانياً - ضرورة أن يتسم المنهج بمضمون وشكل، يعبر عن أخلاقية الأمة، من خلال (كتاب أخلاقي منهجي) والذي يتنزه عن التفرقة الدينية وعن الطائفية والمذهبية والعنصرية، هذه الخصائص التي تشكل مرتكزات التربية الوطنية والخلقية للمرأة الأم.

ثالثاً - أن يأتي المنهج سهلاً قابلاً للتطبيق من جوانبه (العلمية والثقافية والتربوية) بمعنى أن يكون الجانب التنفيذي بارزاً وجاذباً.

obeikandl.com